تفكيك خطاب رافضي اللقاح

● أسامة سليمي

ينقسم رافضو التلقيح لفئتين، فئة رفضها مبدئي إيديولوجي، وهو تيار عالمي قديم يتمتع بدرجة من الفكر والعلم، لكنه يشكل فقط أقلية في مقابل الفئة العريضة من المجتمع التي ترفض التلقيح خوفا، كنتيجة حتمية لما يروج لها من الأخبار الزائفة مع عدم ثقتها في الكفاءات الوطنية التي يشهد لها العالم بسمو قاماتها العلمية في شتى المجالات.

لذلك اخترنا البدء بالفئة الثانية من خلال تفصيل ثلاثة مواضيع خاطئة تعرف انتشار النار في الهشيم وهي الجزيئات النانوية في اللقاحات، والتي تتصل بالأقمار الصناعية للاتصالات من أجل تتبع حركات وسكنات الملقحين، وهو ما سنتطرق له في هذا الجزء، ثم نتطرق لقصص الخيال العلمي المتداولة حول تواجد معدن الغرافين في اللقاح ومغناطسيته في الجزء المقبل إن شاء الله كتتمة لهذا المقال، لنختم هذا المحور بمقال حول الفعالية والآثار الجانبية للقاحات المستعملة في المغرب، وذلك حتى نفسح المجال للتطرق لفئة رافضي التلقيح بشكل عام عن مبدأ وإيديولوجية محددة، كيف كان نوع المرض واللقاح، وهو محور يحتاج الكثير من الصبر والفكر والنفس الطويل لدحض الحجة بالحجة بشكل مختصر ومنمق دون جركم في متاهات التفاصيل العلمية.

في الحقيقة الأمر متشعب، متداخل، يعتمد على كثير من الفلسفة والفكر وتفاعلهما مع الحالة النفسية لأفراد المجتمع بكل ما تتحمله هذه النفسية من ضغوطات بشتى أنواعها، أكثر مما يعتمد على البراهين العلمية الدامغة؛ وللوصول لأصل المشكل ومولد الفكرة، لزم منا ذلك تفكير طويل، لفهم كيف تكونت مخاوف الناس التي ركبت على أخبار زائفة محكمة الحبك، حتى صارت نوعا من الإيمان يصعب زعزعته بالعلم، أي إما أن يسير العلم في فلكه ولو خالف الحقيقة، وإلا لن يعتد بالعلم... وضعية صعبة تلك حينما يصبح هذا الإيمان المرتبك حاجزا أمام الوصول وتحقيق سلامة المجتمع لمجرد تصديق ما لا يصح.

وكما سبق أن أسلفنا في سابق الأجزاء، نفسية المجتمع المغربي في ظرفية الوباء تحتاج لدراسة مستفيضة من المتخصصين، لعلهم يساعدوننا نحن مهنيو الصحة على القيام بدورنا الكامل مع أفراد مجتمعنا من أهلينا وأحبابنا ومواطنينا.

صناعة الخبر الزائف حرفة تعتمد على الربط بين مجموعة من المعطيات، التي قد تكون حقيقية لكن لا ترتبط بموضوع الخبر سوى بالاسم، وذلك بحبل الكذب، المغذى بالخيال الموافق لمخاوف الناس، من أجل إقناع المجتمع بخبر خاطئ.

الهدف من ذلك قد يكون شخصيا كالصراعات بين أساتذة الجامعات في إطار المنافسة غير الشريفة أو في الصراعات بين الأساتذة والإدارة أو الوزارة كما يحدث في فرنسا، أو لأسباب سياسية متعلقة بالحملات الانتخابية كما حدث في أمريكا مع الرئيس ترامب، أو لأسباب اقتصادية قومية كرفض اعتماد اللقاح الصيني في أوروبا وأمريكا رغم أنه أكثر أمانا وأحسن فعالية والأيام أثبتت ذلك، أو لدواع تجارية من أجل رفع عدد المشاهدات في منصات التواصل الاجتماعي أو لبيع عدد كبير من النسخ من كتاب بعنوان جذاب حول الوباء، وقد تكون لأسباب شخصية كحب الشهرة والظهور، بالنسبة لكل هؤلاء يقول الراحل الحسن الثاني: يجب ألا تضيع وقتك في طرح الحجج بحسن نية لأشخاص ذوي النوايا السيئة.

في البداية، يمكن أن نتبع هذه الخطة وتنجح سيرا على قول سيدنا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه: «إن لله عبادا يميتون الباطل بهجره، ويحيون الحق بذكره»، ولكن في الوقت الحاسم في حالة حدوث أزمة صحية، حيث تكون صحة الناس في خطر، في وضعية حساسة كوباء لا يتوقف عند باب إلا دخله، ننتقل لقولة الراحل الحسن الثاني المشهورة: لا تربح معارك الحياة من طرف الأقوياء ولا من طرف الأسرع منهم، لكن من طرف الذين لا يتراجعون.

وهنا لن نتراجع، لأننا لا نستطيع أن نتغاضى ونترك الأشخاص الذين لا يدركون حقيقة الحال، والذين يشكلون الغالبية العظمى من الأشخاص المناهضين للقاحات يموتون ضحايا الجهل، لأن هذه الثقافة يجب أن تعم المجتمع من أجل أن يتصف بالحصانة اللازمة لمواجهة الأوبئة ونحن في عصر قد تتكرر فيه الجوائح.

إذن ما هي القصة؟

عصر الذكاء الاصطناعي يخيف الناس.. بالتأكيد المستقبل للذكاء الاصطناعي.

إن حقيقة الحديث عن شريحة إلكترونية يمكن تثبيتها على مستوى الدماغ أو تحت الجلد والتي سيتحكم بها بواسطة الكمبيوتر عبر الأقمار الاصطناعية في خضم حملة لتلقيح سكان العالم بلقاحات الحمض النووي الريبي المنقولة في جزيئات نانوية أي دقيقة الحجم، قد أحدثت ارتباكا كبيرا بين الناس، وهو ما يستفيد منه مناهضو اللقاح من أجل تغذية مخاوف الناس بالربط بين موضوعين لا علاقة بينهما.

وتستمر هذه الأكذوبة لتصيب هدفها في مقتل، حيث انتشرت فكرة فرعية لهذه المغالطة من فرنسا، وذلك قبيل وصول لقاحات الحمض النووي الريبي لهذا البلد الأوروبي، عبر تصريح للمدعو لويس فوشيه، وهو طبيب اختصاصي في الإنعاش، مناهض لكل التدابير الاحترازية بدءا بالكمامة وانتهاء باللقاح... لعله لأن اختصاصه انتعش في فرنسا بسبب كوفيد إذا علمنا أن فرنسا هي خامس أكثر بلد من حيث الإصابات بكوفيد في العالم. مفاد هذه المغالطة أن اللقاحات تحتوي على رقائق تحقن تحت الجلد، وقد انتشر هذا الفيديو على الفيسبوك والواتساب انتشارا عجيبا غريبا، حيث تمت صياغة الخبر على شكل استجواب صرح فيه لويس فوشيه أن لقاحات موديرنا وفايزر بها شرائح إلكترونية ستحقن تحت الجلد لمراقبة حركات وسكنات الملقحين.

هنا نبدأ تفكيك الفكرة الأولى الأكثر شيوعا، المضحكة والمستفزة في الوقت نفسه، ألا وهي وجود جسيمات أو رقائق ميكرو-إلكترونية في لقاحات كوفيد يربط اتصالها بالأقمار الصناعية من أجل تتبع حركات وسكنات الملقحين.

في الحقيقة يصعب كيف يصدق الناس مثل هذه الأخبار:

على الرغم من أن جزيئات اللقاح النانوية هي ذهنية بطبيعتها، أي مجرد ذهون علما أنه قانونيا يمنع ويستحيل أن تكون تركيبة أي منتج صيدلاني سرية، بل تنشر بالتفصيل والتدقيق.

وعلى الرغم من أن تركيبة اللقاحات هي عمومية ومنشورة للعموم ويمكن الاطلاع عليها

وحتى لو تم إعطاء اللقاحات بواسطة إبرة في العضل وليس في الدماغ أو تحت الجلد حتى وأنه لا يوجد تلامس أو اتصال، إطلاقا، بين اللقاح ومجرى الدم وحتى لو افترضنا وصوله للدم - وهو أمر مستحيل -، فإن الدورة الدموية يفلها عن الجهاز العصبي المركزي حاجز رباني يسمى الحاجز الدموي-الدماغي كمصفاة تمنع مرور المواد الضارة للدماغ

وهذا ما يظهر مدى الفشل العلمي لمثل هذه النظريات التي لا يمكن تصنيفها إلا في باب قصص الخيال العلمي التي تستغلها الأطراف السياسية المعارضة للحكومات لمناهضة اللقاح مثل كيم جلو أو فرانسوا أسلينو في فرنسا، بل الأدهى من ذلك هو تصديق المواطن المغربي لمثل هذه الترهات بالرغم أن اللقاحين المستعملين في المغرب خلال المرحلة الأولى والكبيرة من التلقيح لم يكونا من فصيلة لقاحات الحمض النووي الريبي... وحتى وقد دخل فايزر حيز الاستعمال بالمملكة، فلكون أن شريحة من المواطنين كانت تنتظره وهناك حاجة لاستعماله لدواع صحية أخرى وسنتطرق لذلك في الجزء الخاص بهذا اللقاح، رغم أن الاختيار بينه وبين سينوفارم كان ولا يزال متاحا للمواطن كيفما يشاء.

يا له من تشابه محير بين الجسيمات النانوية للقاحات وهي مجرد دهون، والجسيمات النانوية المعدنية أو الرقائق أو شرائح الاتصالات لخداع الناس!!! يا لها من فداحة!!!

إنه ببساطة عندما ينشر مهنيو الصحة أخبارا كاذبة لصالح سياسيين ماكرين من أجل المعارضة لا غير، وإلا ما شأنهم في المسائل العلمية المعقدة، وأي رأي لهم فيها!!!

وحيث الإنسان هو عدو لما يجهله... هنا توضيح بسيط لماهية هذه الجسيمات النانوية.

الجسيمات النانوية عبارة عن جسيمات صغيرة متناهية الصغر يتراوح قطرها عادة بين 1 و100 نانومتر.

النانومتر الواحد يساوي واحدا من المليار من المتر.

للمقارنة فقط هو أكبر من ذرة الهيدروجين وأصغر من الخلية.

إن تعريف هذه الجزيئات بالنانوية هو تعريف من حيث الحجم فقط! لكن طبيعة هذه الجسيمات تتغير من مجال إلى آخر.

في الصيدلة، استعمال الجسيمات النانوية هو تقنية معروفة منذ فترة طويلة، إذ تستخدم في العلاجات المتطورة والدقيقة.

فقد تم اكتشاف الجسيمات النانوية منذ حوالي خمسين عاما وأثار تطوير تقنية النانو الكثير من الأمل، لا سيما في مجال علاج الأورام والسرطانات.

ليتم نقل المواد العلاجية أو الأدوية المضادة للسرطان داخل الخلية المصابة بالورم، لا نستخدم - بالطبع - الجسيمات النانوية المعدنية، لأن الخلية ليست مصباحا أو علبة معدنية، بل جسيمات أو فقاعات من الدهون والبروتينات لتتمكن من تمرير المادة العلاجية عبر غشاء الخلية. هل أردنا يا ترى السيطرة على المصابين بالسرطان؟ منطقيا من فضلك؟

علاوة على ذلك، فإن الدور الرئيسي لتقنية النانو في تطوير لقاحات ضد كوفيد لا يشبه بأي حال من الأحوال «لعبة هؤلاء أصحاب الخيال الواسع والساحر». فقد طورت شركة التكنولوجيا الحيوية الألمانية بيونتك خبرتها في مجال تكنولوجيا النانو خلال العشر سنوات الماضية من خلال علاجات واعدة للسرطان وليس الأمر حديث الصدفة.

في الواقع، هذا الأمر ليست له علاقة مباشرة أو غير مباشرة بالرقائق 5ج، وكل الخيال العلمي الذي يتبع هذه النظرية هو مجرد جنون مضحك... إذ لا يجب علينا في كل مرة نسمع أي شيء يخيفنا نصدقه! لأننا في أوقات الأزمات والأخبار الكاذبة عندما لا نختار رأيا فإننا ببساطة نختار الرأي الآخر دون أن ندرك أننا لم نطالبه بالحجج والبرهان من أجل أن نومن به، فقط ببساطة لأنه يغذي خوفنا دون برهان.

بالنسبة للقاحات المطورة ضد كوفيد إذا قمنا بحقن الحمض النووي الريبوزي المرسال مباشرة في العضل، فسوف يتم تدميره لأن مكانه هو داخل الخلية، ولذلك يتم وضعه بفقاعات ذهنية نانوية الحجم، تغلفه وتحميه، حتى تندمج مع غشاء الخلية، وبالتالي تمرر الحمض النووي الريبي للخلية العضلية التي تترجمه لإنتاج المستضد، أي المادة الفعالة للقاح التي تحفز الاستجابة المناعية ضد هذا الفيروس الوبائي، الذي أصاب حتى تاريخ كتابة هذا المقال أكثر من 326 شخصا وقتل أكثر من 5 ونصف مليون مصاب عبر العالم.

وهذه الجسيمات النانوية هي مصممة لتتحلل تدريجيا لجزيئات طبيعية تماما، لأن خلايانا كلها ملفوفة بالدهون. إنه شيء طبيعي من الناحية البيولوجية، إذ لا يبقى أثر إطلاقا، لمكونات اللقاح في مكان الحقن بعد بضعة أيام، فأين نحن من الرقائق والعجائن والعجائب؟ فرأفا بعقول الناس!!!

مختص في الصيدلة
السريرية

> صناعة الخبر الزائف حرفة تعتمد على الربط بين مجموعة من المعطيات، التي قد تكون حقيقية لكن لا ترتبط بموضوع الخبر سوى بالاسم، وذلك بحبل الكذب، المغذى بالخيال الموافق لمخاوف الناس، من أجل إقناع المجتمع بخبر خاطئ

إعادة تعريف «الأنترنت»

● ياسر عبد العزيز

في الأسبوع الماضي تسنى لي أن أسافر بالطائرة مرتين، وفي كلتيهما رددت اسم أسامة بن لادن مصحوبا بعبارات غير ودية، إذ لم أنس أبدا أنه كان أحد أسباب تعقد إجراءات الأمن في المطارات، وربما إفساد قدر لا بأس به من متعة السفر.

تلك هي الحال دائما؛ تبدأ صناعة النقل الجوي عملها مثلا بقيم ذكية ومنفتحة ومتفائلة، ثم تنقل الناس بين الأماكن، والجميع ينعم بالسهولة والراحة، إلى أن يأتي تجار المخدرات ومهربو الأموال ليستغلوا هذه القيم المنفتحة، فتتعقد إجراءات الأمن للحد من جرائمهم. ثم يأتي أسامة بن لادن - ومن معه ومن على شاكلته - ليستغل ما بقي من تلك القيم، فتتغير الحال، وبدلا من أن تكون الرحلة الجوية جزءا من متعة السفر تضحى ضريبة على رفاهيته.

لطالما كان الانفتاح قيمة إيجابية تساعد على النجاح والازدهار، بينما يظل الإفراط في التنظيم عنوانا للتقييد والحد من الانطلاق، ومع التسليم بذلك، فإن أحدا لا يجادل في ضرورة تعزيز التنظيم كلما كان غيابه سببا مباشرا لتهديد الأمن والمصالح الحيوية.

حدث شيء من ذلك مع شبكة «الانترنت»، فتلك الشبكة التي تم ابتكارها في الولايات المتحدة غداة نهاية الحرب الباردة بدأت عملها المذهل والمثير للخيال معتمدة آيديولوجية قائمة على الانفتاح والحرية والتفاعل النشط بين الأفراد والجماعات والأمم.

رفدت «الأنترنت» الإنسانية بفوائد عظيمة، واختصرت قرونا من العمل في المعرفة والتواصل إلى سنوات، لكن بموازاة ذلك نشأت أربعة مخاطر، أولها درجة كبيرة من الاعتماد على الشبكة التي استسلمت لنزوع احتكاري لعدد محدود من الشركات الأمريكية، وثانيها قابلية كبيرة للتأثر بأنشطة ضارة وهدامة على صعيدي الأمن الفردي والخصوصية، وثالثها ممانعة واضحة لجهود التقييد والضبط، ورابعها أنها باتت أداة من أدوات الحرب والصراع والتدخلات في شؤون الدول.

لقد أقنعت تلك المخاطر السلطات الوطنية في عدد من دول العالم بضرورة اتخاذ تدابير لتنظيم الشبكة، وقد جرى هذا عبر سن قوانين محلية تستهدف فرض قيود على المحتوى المتداول عبرها، أو تغريم الشركات العملاقة القائمة على أهم مواقعها مبالغ موجعة عند وقوع «المخالفات»، أو ملاحقة المستخدمين ومحاسبتهم على الممارسات غير المرغوبة.

كلما تم الإفراط في تلك الإجراءات «الدفاعية»، كبح نمو الأنشطة على الشبكة، وتغيرت آيديولوجيتها القائمة على الانفتاح والحرية إلى آيديولوجية جديدة قائمة على الضبط والرقابة والتعتيم.

لكن تلك التدابير لم تكن كافية عند احتدام الصراعات بين القوى المؤثرة وزيادة قابلية الشبكة للعب أدوار في حسم تلك الصراعات، وهنا نشأ تعبير «الإنترنت السيادي»، الذي هو حقيقة صينية في الأساس ظهرت عندما أممت بكين الأنشطة على الشبكة وأخضعتها للسيادة الوطنية.

أما روسيا، التي أظهرت ولعا بالشبكة وبراعة في التلاعب بثغراتها، فلم تكن بمنأى عن محاولة تأميمها، إذ وقع الرئيس بوتين قانونا في عام 2019 تحت اسم «السيادة على الإنترنت»، ومنذ ذلك التاريخ وموسكو لا تتوقف عن محاولة الاستئثار بإدارة شبكتها، بما يبقيها بعيدة عن تأثيرات الشبكة الأم وتدخلات القائمين عليها.

وعندما حدث التعطل المفاجئ في خدمات «فيسبوك» العام الماضي، وجدت الرئاسة الروسية الفرصة مناسبة لكي تؤسس للوضع المرغوب، عبر قولها: «إن ما يحدث يجيب عن السؤال الخاص بما إذا كنا في حاجة إلى شبكات اجتماعية ومنصات (إنترنت) خاصة بنا».

يدور حديث مهم في أروقة مراكز التفكير الغربية راهنا حول التغير الذي طرأ على قيم «الإنترنت» من الانفتاح والحرية إلى الضبط والتقييد، والتصور الذي يتغير رويدا رويدا من «شبكة أممية تربط الأفراد والأمم» إلى «مسار ملتبس يحظى بالفرص وتحوطه المخاطر ويحتاج إلى إدارة حكومية».

ويتطور هذا الحديث مع الوقت ليطرح التساؤل عما إذا كانت آيديولوجية «الإنترنت» يجب أن تتغير، خصوصا أن الشبكة باتت جزءا من الحرب المعاصرة وأداة رئيسية للنزاعات السيبرانية، وأن المساحة التي تحظى بالاتفاق على أساليب إدارتها تتقلص باطراد، وأن المجتمع الدولي لم يطور آلية واضحة ومتفقا عليها لتنظيم الشبكة والحد من المخاطر التي تصدر عنها.

فإذا استمر الإخفاق في جبر الرتوق الآخذة في الاتساع في الشبكة، فإن «الإنترنت السيادي» سيصبح ملمحا أساسيا في العقد الراهن، وستعتمده دول كثيرة، خصوصا تلك التي توصف بالانغلاق أو الاستبداد، وهنا ستتغير آيديولوجية الشبكة من «الحرية والانفتاح» إلى الامتثال للسيادة الرقمية الوطنية، التي هي «حق الدولة في إدارة نطاقها الرقمي وفقا لتشخيصها لمصالحها الحيوية».

سيعني هذا أن «الإنترنت» ستكون شبكة لا مركزية، وأنها ستعيد تذكيرنا بالأوضاع التي سبقت ظهورها بإشراقاتها الزاهرة وصدماتها العميقة.

كاتب

> يدور حديث مهم في أروقة مراكز التفكير الغربية راهنا حول التغير الذي طرأ على قيم «الإنترنت» من الانفتاح والحرية إلى الضبط والتقييد، والتصور الذي يتغير رويدا رويدا من «شبكة أممية تربط الأفراد والأمم» إلى «مسار ملتبس يحظى بالفرص وتحوطه المخاطر ويحتاج إلى إدارة حكومية»

يستقبل ركن «وجهات نظر» مساهمات القراء وتعليقاتهم على المقالات وآرائهم بخصوص القضايا الوطنية (سياسية، اقتصادية، اجتماعية...) وكذلك جميع ملاحظاتهم بشرط ألا تتضمن سبا أو قذفا أو إساءة لأي شخص وألا تتجاوز المقالات 1000 كلمة. mountada.ahdath@gmail.com

المقالات المنشورة تعبر عن آراء أصحابها فقط ولا تعبر بالضرورة عن رأي الجريدة.